

# الجِنّ وأحوالهم في الشعر الجاهلي

إعداد : عبدالغني زيتوني

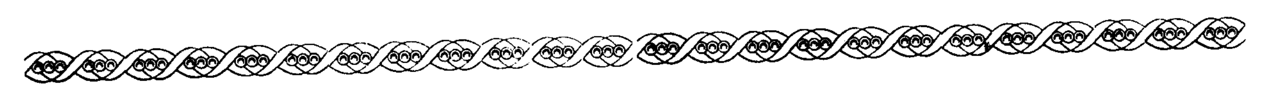
**لم تكد تخلو أمة من الأمم القديمة من الاعتقاد بوجود عالم غير مرئي في هذه الحياة ، يزخر بمخلوقات تمتلك قوى خارقة تصنع الخير والشر ، دعيت تارة بالآلهة وتارة بالجن وتارة ثالثة بالأرواح ٠ فاذا بحثنا في أخبار العرب الجاهليين وتصوراتهم فاننا نجد أنهم كانوا يتخيلون وجود كائنات خفية ، لها قوى خارقة ، تملأ بواديهم وفلواتهم ، وتتصف بمقدرة عظيمة وسطوة جبارة تنفعان حيناً وتضران أحياناً كثيرة ، وقد دعوا هذه الكائنات بالجن ٠**

فما القصد بالجن ؟ جاء في لسان العرب مادة ( جنن ) : « الجن نوع من العالم ، سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرون ٠ والجمع : جنان ، وهم الجِنة ٠ والجان أبو الجن خلق من نار ، ثم خلق منه نسله ٠ والجني : منسوب الى الجن والجنة » ٠

## ☐ عالم الجن :

لقد عرف العرب الجاهليون الجن معرفة واسعة ، حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوا الجن عالماً شبيهاً بعالمهم في الجزيرة العربية ٠ ذلك أن الجن يتألفون من عشائر وقبائل تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم ، فمن قبائلهم الشهيرة قبيلة « مالك بن أقيش »(١) وقبيلة « بني الشيعبان »(٢) ٠

أما سكناهم فهي الأماكن المقفرة والمنازل المهجورة ، ذلك « أن الأعراب تزعم أن الله ، عز ذكره ، حين أهلك الأمة التي تسمى وبار ، كما أهلك طسماً وأميماً وجاسماً وعملاقاً وثمود وعاداً ، أن الجن سكنت منازلها وحمتها من كل من أرادها »(٣) ٠ وقد ذكر الأعشى



حِجراً ، وهي ديار ثمود البائدة ، وكيف أن الجن قد اجتمعت حولها تصوّت وتصيح(٤) :

أو لم تري حِجراً وأنـت ( م ) حكيمـة ولما بهـا
ان الثعالـب بالضحـى يلعبـن في محرابهـا
والجـن تعزف حولهـا كالحُبْشِ في محرابهـا

ان الشعراء الجاهليين قد أسهبوا كثيراً في وصف الأماكن المقفرة والفلوات الواسعة التي قطعوها ، وهم يسمعون عزيف الجن في نواحيها . ويظهر أن ذلك العزيف لا يسمع الا في مجاهل الصحراء المخيفة ، وفي المفاوز البعيدة في أحشاء الجزيرة العربية . فهذا الأعشى أيضاً يصف احدى هذه المفاوز في قوله(٥) :

ويهمـاء تعـزف جِنّانُهـا مناهلهـا آجنـاتٌ سُدُمْ

كما يوغل في تصوير رهبة البادية التي تنبعث في أرجائها صيحات الجن المرعبة(٦) :

وبلدة مثـل ظهر الترس موحشةٍ للجن ، في الليل ، في حافاتها زجَل

وذاكم زهير بن أبي سلمى يصور في شعره بلدة نائية عن العمران ، قد توطنت فيها الجن فأصبحت ممتلئة بأصواتهم المخيفة ، حتى ان الثعالب لتصرخ مذعورة منها(٧) .

وبلدةٍ ، لا تـرام ، خائفـة زوراء مغبـرّة جوانبهـا
تسمـع للجـن عازفين بهـا تضـج مـن رهبـة ثعالبهـا

وذكر طرفة بن العبد في شعره طريقاً مجهولة ، قد توطنها الجن منذ أقدم الأزمان فهم يملأون جنباتها بصيحاتهم وصرخاتهم(٨) :

وركـوبٍ تعـزف الجـن بـه قبـل هـذا الجيـل مـن عهد أبدْ

وكذلك فان بشر بن أبي خازم يصور أرضاً قفراً ، في وقت الظهيرة ، حيث الشمس ترسل لهيبها وشواظها على الرمال ، هـذه الأرض لا يؤنس فيها الا لعزيف الجن ، ويا له من أنس موحش !(٩) :

وخرقٍ تعزف الجنـان فيـه فيافيـه يطـير بهـا السهـام

والجن في تصور الجاهليين لا يكتفون بارتياد الأماكن المقفرة والمنازل المهجورة ، وانما يتخذون مطاياهم من حيوانات الصحراء متنقلين عليها ، ولا سيما الحيوانات التي تعيش في مواطنهم ، كالنعام والظباء واليرابيع والقنافذ والحيات والعقارب وما شابهها(١٠) .

وقد قدمنا أن الجن تكوّن قبائل لها زعماؤها ، وربما ظهر أفرادها للعرب وتكلموا معهم بكلام يفهمونه . فمن ذلك شعر ينسب الى شمر بن الحارث الضبي ، وصف فيـه اجتماعه بنفر من سادات الجن ودعوته لهم الى الطعام(١١) :

ونـار قـد حضأتُ بُعيد هـدءٍ          بدار لا أريـد بهـا مقامـا
سـوى تحليـل راحلةٍ ، وعـين          أكالئهـا مخافـة أن تنامـا
آتوا ناري فقلت : منون ، قالوا :          سراة الجـن ، قلت : عموا ظلاما
فقلت : الى الطعـام ، فقال منهم          زعيم : نحسدُ الانس الطعامـا

فاذا حدث أن قتل انسان أحد أفرادالجن، عامداً أو خطأ ، فان قبيلته تثور ثائرتها ، وتنهض للثأر من القاتل الانسي وقبيلته ،كماهي عادة الجاهليين في الثأر • ولا يحدث ذلك في هدوء ، وانما تتبعه ضجة صاخبة وغبرةعظيمة تكاد تحجب السماء عن الأعين ، مما يدخلَ الرهبة في نفوس البشر •

ومصداق ذلك هذه الخرافة التي وردتعن الجاهليين اذ زعموا أن جنياً أتى الى مكة وطاف بالكعبة ثم عاد ، حتى اذا كان في بعضدور بني سهم قتله رجل منهم ، فثارت بمكة غبرة عظيمة لم تبصر لها الجبال ، وأصبحمن بني سهم على فرشهم موتى كثير من قتل الجن • فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليهاوعبيدها ، فركبوا الجبال والشعـاب ، فما تركوا حية ولا عقرباً ولا خنفساً ولا شيئاً منالهوام الا قتلوه لأنهـا مطايا الجن • فأقاموا بذلك ثلاثاً ، فسمعوافي الليلة الثالثة علىجبلأبي قبيس هاتفـاً يهتف بصوت جهـوري : « يا معشر قريش : الله الله فان لكم أحلامـاًوعقولا ! اعذرونا في بني سهم ، فقد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ، ادخلوا بيناوبينهم بالصلح ، نعطيهم ويعطوننا العهد والميثاق ألا يعود بعضنـا لبعض بسوء أبداً » • ففعلتقريش بذلك ، واستوثقوا لبعض من بعض ، فسميت بنو سهم ، العياطلة ، قتلة الجن(١٢) •

ومن هنا نجد أن الجن ، فيما زعم الجاهليين ، أشبه شيء بالبشر ، وخاصة بالعرب، فهم يعتقدون في مكـة اعتقـاد العرب فيهـا ،فيطوفون بكعبتها ، ثم هم يثأرون لقتلاهم ، واذا حزبهم امر تحالفوا مـع الانس كما تتحالف القبائل العربية على عدم الاعتداء •

## ☐ صورة الجـن :

اذا أردنا معرفة الجنيوصورتهالحقيقية ، في أذهان العرب الجاهليين ، فاننا لانكادنعثر على نص يوضح لنا هذا الأمر ، وانما توجدهنالك صفات عامة لصقها بعضهم بالجـن ، ومع ذلك فان صورة الجني تبقى مبهمة غيـرواضحة المعالم • فالشاعر لبيد بن ربيعة يذكر في معلقته جن البدي ، ويصفها بأنها راسيةالأقدام ، مما قد يوحي بأنه يتصور الجنذوي قامات مديدة وأرجل طويلة ، ومـن ثم فانأجسامهم ضخمة هائلة(١٣) :

وكثـيرة غرباؤهـا مجهولـة          تـرجـى نوافلهـا ويخشى ذامها
غلـب تشـذّر بالذحول كأنهـا          جـن البديّ رواسياً أقدامهـا

ويبدو أن الجن يتفاوتون في الأحجام والأشكال، فمنهم العامة ومنهم المردة عتاةالجان، وربما كان هؤلاء هم الذين يكلفون بأصعبالمهام • وقد أشار الأعشى في شعره الى أحـد

أولئك المردة ، حيث انتصب في عمق البحار ،يحرس لؤلؤة كبيرة ، مانعاً عنها الغواصين الذين يبذلون جهدهم في الوصول اليها والظفر بها (١٤) :

ومارد مــن غواة الجن يحرسهـــا ذو نيقة مستعد" ، دونهـــا ترقـــا
ليست له غفلة عنهــا يطيف بهـــا يخشى عليها سرى السارين والسرقا

وأقوى أنواع الجن لها أمكنة معينة ، ولعل أهمها أرض عبقر • وقد بيَّن الجاحظ أن العرب الجاهليين تفرق بين مواضع الجن اذ قال : « فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه ، من الخبث والقوة والصرامة ، بما ليس لجملتهم وجمهورهم ••• ولذلك قيل لكل شيء فائق أو شديد : عبقري»(١٥) • فمن عبقر جن متميزون من جملتهم وجمهورهم بالخبث والقوة والعرامة ، ولعلهم متميزون أيضاً بالشكل والصورة •

وقد ذكر زهير جن عبقر ، مشبهاً فرساناً بهم ، في قوله (١٦) :

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهـــم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل
بخيل عليهـــا جِنـــة عبقريـــة جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وشبه حاتم الطائي الفتيان الأقوياء على الخيل ، وهم يشهرون رماحهم، بجن عبقر(١٧)

عليهن فتيـــان كجنـــة عبقـــر يهزون بالأيدي الوشيج المقوما

## ☐ مقدرتهـم :

اذا كانت صورة الجـن غامضة في الشعر الجاهلي فان مقدرتهم الفائقة تبدو جليـة واضحة • فاذا أرادوا وصف الفرسان بالقوة الشديدة والشجاعة الباسلة فانهم يشبهونهم بالجن ، مما يدل على تصورهم الجن ذوي مقدرة عظيمة وقوة هائلة • ففضلا عن الأبيات السابقة فان النابغة الذبياني يشبه الفرسان الأشداء بجن على ظهور الخيل (١٨) :

جـنٌ عليهـــا مساعـيرٌ لحربهــم شم العرانين من فتوٍ ومــن شيبِ

ويقول أيضاً في صورة مماثلة(١٩) :

وضُمـرٍ كالقـداح مسومـــات عليهـــا معشـر أشبـــاه جــنِّ

والجن في مقدرتهم أن يبنوا البناء المؤلف من أعمدة كبيرة وحجارة ضخمة ، يعجز البشر عن حملها أو جلبها من أمكنتها • لذلك نسب كثير من العرب الجاهليين بناء مدينة تدمر الى الجن ، ويؤكد النابغة هذه النسبة في قوله مادحاً النعمان بن المنذر(٢٠) :

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهـــه وما أحاشي من الأقوام مــن أحد
الا سليمـــان اذ قـــال الاله لـــه قم في البرية فاحدها عن الفنَدِ
وخيّس الجن اني قد أذنت لهــم يبنون تدمر بالصفـــاح والعمـــد



لقد اعتقد العرب الجاهليون أن الجن يسخرون تلك المقدرة الخارقة في أمرين هما : الخير والشر ٠

## قوى الخير وشياطين الشعراء :

ان الجن قد ينفعون الناس إما رداً على جميل صنع لهم ، وإما اذا كانوا ممتلكين لموهبة الشعر فانهم حينذاك يلازمون شعراء معينين، يلهمونهم النظم ويوحون اليهم بالجيد من القول ٠

ففي تصور الجاهليين أن بعض أماكن الجن تمتلىء بالرزق الوفير ، فهي بحسب قول الجاحظ : « من أخصب البلاد وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً ، وأكثرها حَباً وعنباً ،وأكثرها نخلا وموزاً »(٢١) ٠ والعرب الذين يسكنون قرب تلك الأماكن ، ولا يكون بينهم وبين الجِنّة عداء ، فانهم ينعمون بتلك الخيرات وتطيب لهم الحياة وتقر أعينهم بذلك الجوَار (٢٢) ٠

واذا أعان أحد العرب جنياً من غير أن يشعر ، فان هذا الجني لا ينسى المعروف ، وانما سيظل منتظراً فرصة يكون فيها العربي محتاجاً الى المساعدة عند ذاك يقدم له العون ويجزيه خير الجزاء(٢٣) ٠

ومن المعروف أن اليونانيين القدماء كانت لهم آلهات للشعر ، يستلهمونها قصائدهم ويتغنون بما تمنحهم من صور جميلة وأخيلة مبتكرة ٠ وكذلك كان شأن الشعراء الجاهليين اذ كانوا يدعون أنهم يتلقون الشعر من كائنات تتمتع بمزايا خارقة ، لكنهم لم يجعلوها آلهات أو ربات وانما تخيلوها شياطين من الجن ٠ فكانوا « يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً ، يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر» (٢٤) ٠

فمن ذلك ما كان يدعيه الأعشى من أن له جنياً اسمه مِسحَل ، يلازمه ويلقي على لسانه الشعر ، فينتصر به على الخصوم والأعداء ، ويفحم به الشعراء الهجائين ٠ وقد صور ذلك في قوله يهجو قوماً استعانوا عليه بشاعر يدعى جهنّام ، فاستعان عليهم بشيطانه(٢٥) :

| | |
|---|---|
| **فلما رأيت الناس للشر أقبلوا** | **وثابوا الينا من فصيح وأعجم** |
| **دعوت خليلي مسحلا ودعوا له** | **جهنّام جدعاً للهجين المذمم** |
| **حباني أخي الجني نفسي فداؤه** | **بأفيح جياش العشيات خضرم** |
| **فقال ألا فانزل على المجد سابقاً** | **لك الخير قَلّدْ إذ سبقت وأنعم** |

وقد ذكره في موضع آخر من شعره ، وأشار الى أنه خليل يلازمه دائماً ، وأنه شيطان شعر يعينه على اجادة الشعر والنبوغ فيه(٢٦) :

| | |
|---|---|
| **وما كنت شاحرداً ولكن حسبتني** | **اذا مسحل سدّى لي القول أنطق** |

شريكان فيما بيننا من هوادة | صفيان : جني وانس موفق
يقول ، فلا أعيا لشيء أقوله | كفاني لا عي ولا هو أخرق

وكان حسان بن ثابت يزعم أيضاً أن له جنياً يلهمه الشعر ، ويوشيه أحسن الوشي ، ويجوده فيظفر به على الشعراء(٢٧) :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا | بل لا يوافق شعرهم شعري
اني أبى لي ذلكم حسبي | ومقالة كمقاطع الصخر
وأخي من الجن البصير اذا | حال الكلام بأحسن الحبر

وعلى هذا فان الجن قد ينفعون الناس فيقدمون لهم العون ويلهمونهم الجيد من الشعر اذا كانوا شعراء . غير أن منفعتهم تكاد تكون في مجال ضيق ، وفي حوادث قليلة ، أما ضررهم فهو المشهور عنهم .

### □ قوى الشر :

لقد كان العرب الجاهليون يخشون الجن خشية شديدة ، وكانت تشيع بينهم أخبار عن أفراد قتلهم الجن أو اختطفوهم أو سلبوهم شيئاً من انسانيتهم . « فقد قتلت الجن مرداس ابن أبي عامر ، كما قتلت سعد بن عبادة . واستهووا سنان بن حارثة ليستفحلوا ، فمات فيهم ، واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر ، واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة ، ونفخوا في احليله فصار مع الوحش »(٢٨) .

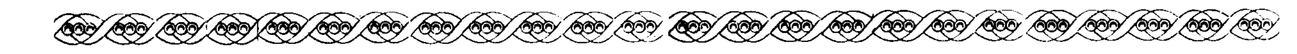
وفضلا عن ذلك فان الجن يترصدون بمن يدنو من أماكنهم ، متعمداً أو غالطاً ، فيثيرون في وجهه التراب ، مما يؤدي الى عماه أو قتله . بل ان منهم متخصصين بشرور معينة حيث انهم يخبلون الناس ويسلبونهم عقولهم . لذلك سماهم العرب بالخابل والخبل . وقد ذكرهم أوس بن حجر في قوله(٢٩) :

لليلى بأعلى ذي معارك منزل | خلاء تنادى أهله فتحملوا
تبدل حالا بعد حال عهدته | تناوح جِنّان بهن وخبَّل

وافتخر حاتم الطائي بأنه يجود على الانس والجن من خبل وغيرهم كرماً وعطاء ، فقال(٣٠) .

مهلا ، نوار ، أقلي اللوم والعذلا | ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
ولا تقولي لمال كنت مهلكه | مهلا ، وان كنت أعطي الجن والخبلا

وكان من أعظم مصائبهم وأقسى شرورهم ما يسببونه من داء قاتل ومرض مميت هو الطاعون ، اذ كان الجاهليون يتصورونه طعناً من الشيطان ، لذلك دعوا الطاعون برماح



الجن . وقد زعم هذا الزعم حسان بن ثابت حين أرجع طاعوناً حل بالشام الى وخز الجن ، فقال(٣١) :

**فأعجل القوم عن حاجاتهم شغل  من وخز جن بأرض الروم مذكور**

ولخوفهم الشديد من شر الجن فان كثيراً منهم كانوا ، اذا نزلوا أرضاً منقطعة عن العمران قام أحدهم واستعاذ بالجني ، سيد تلك الأرض ، ليدرأ عنهم الأذى . وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الأمر في قوله تعالى :« وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »(٣٢) .

وجاء في تفسير الآية : « كانت عادة العرب في الجاهلية أنهم اذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً ، من البراري وغيرها ، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم ، زادوهم رهقاً أي خوفاً وارهاباً وذعراً(٣٣) .

وحينما كانوا يعوذون بالجن فانهم كانوا يخاطبونهم بلهجة ، فيها التذلل لهم والتمجيد لسيدهم ، كي يمن عليهم بالرعاية والحماية، قال أحدهم ، وقد نزل أرضاً موحشة(٣٤) :

**هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعي  فاني ضيف نازل بفنائكا**
**وانك للجنّان في الأرض سيد  ومثلك آوى في الظلام الصعالكا**

ولكن يبدو أن التعوذ لا يفيد دائماً ، فهذا رجل استعاذ بعظيم واد نزل فيه ليحميه هو ولده ، فلم يمنع ذلك من أن يأتي أسد ويفترس ابنه ، فعبر عن خيبته بقوله(٣٥) :

**قد استعذنا بعظيم الوادي  من شر ما فيه من الأعادي**
**فلم يجرنا من هزبر عادي**

فكائنات الجن تملأ الصحراء ، ولا سيما الأماكن النائية عن العمران ، وللجن في مخيلة العرب الجاهليين أشكال هائلة مخيفة ، وقوى للخير ينفعون بها الناس ، وقوى للشر ترهبهم وتفزعهم . ولعلنا لا نغلو اذا قلنا انه لو اكتملت لدينا تفصيلات أكثر عن تلك الحوادث وأمثالها من عالم الجن لجلّيت لنا أساطير عربية متكاملة ، لا تقل عن أساطير الاغريق القدماء خصباً في الخيال وغنى في التصوير .



## الحواشـي :

١ ـ السـيرة النبوية : ٤٢٣/١
٢ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت : ص ٤٢٣ ·
٣ ـ الحيوان : ٢١٥/٦ ·
٤ ـ الديوان : ص ٢٥١ ·
٥ ـ الديوان : ص ٣٧ ·
٦ ـ الديوان : ص ٥٩ ·
٧ ـ الديوان : ص ٢١٢ ·
٨ ـ الديوان : ص ١٣٤ ·
٩ ـ الديوان : ص ٢٠٣ ·
١٠ ـ الحيوان : ٤٧/٦ ·
١١ ـ الحيوان : ١٩٧/٦ ·
١٢ ـ اخبار مكة : ١٢/٢ ·
١٣ ـ الديوان : ص ٣١٧ ·
١٤ ـ الديوان : ص ٣٦٧ ·
١٥ ـ الحيوان : ١٨٩/٦ ·
١٦ ـ الديوان : ص ٣٥ ·
١٧ ـ الحيوان : ١٨٩/٦ ·
١٨ ـ الديوان : ص ٩١ ·
١٩ ـ الديوان : ص ٢٠٠
٢٠ ـ الديوان : ص ١٣ ·
٢١ ـ الحيوان : ٢١٥/٦ ·
٢٢ ـ الحيوان : ١٨٢/٦ ·
٢٣ ـ عجائب المخلوقات : ص ٢٣٩ ·
٢٤ ـ الحيوان : ٢٢٥/٦ ·
٢٥ ـ الديوان : ص ١٢٥ ·
٢٦ ـ الديوان : ص ٢٢١ ·
٢٧ ـ الديوان : س ١٧٣ ·
٢٨ ـ الحيوان : ٢٠٨/٦ ـ ٢١٠ ·
٢٩ ـ الديوان : ص ٩٤ ·
٣٠ ـ الديوان : ص ٧٣ ·
٣١ ـ الديوان : ص ٢١٩ ·
٣٢ ـ سورة الجن : الآية ٦ ·
٣٣ ـ تفسير ابن كثير : ٤٢٨/٤ ·
٣٤ ـ بلوغ الأرب : ٣٢٦/٢ ·
٣٥ ـ بلوغ الأرب : ٣٢٦/٢ ·

★ ★ ★

## مصادر البحث :

فضلا عن القرآن الكريم ودواوين الشعراء المذكورينفان أهم المصادر هي ·

ـ اخبار مكة للازرقي : مكة ١٣٥٢ هـ

ـبلوغ الارب في معرفة احوال العرب لمحمود شكري الآلوسي : مصر ١٣٤٣ هـ ·

ـ الحيوان للجاحظ : تحقيـق عبدالسلام هـارون ،القاهرة ١٩٦٥ ·

ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني :١٩٧٠ ·

★ ★ ★